الدولة العثمانية (١٢٩٩ - ١٩٢٤)

اسمها الرسمي الدولة العلية العثمانية أو وفق علماء السنة الخلافة العثمانية كانت إمبراطورية إسلامية أسسها عثمان الأول حكمت أجزاء كبيرة من آسيا الصغرى وجنوب شرق أوروبا، غربي آسيا وشمالي أفريقيا كان المقر الأول لها : ياني شهير: ١٢٨٠-١٣٦٦، ثم إدرنة١٣٦٦-١٤٥٣، وأدرنة إحدى مدن تركيا وتقع في أقصى الجهة الغربية من القسم الواقع في أوروبا قريبا من حدود بلغاريا واليونان.

أسس الرومان مدينة أدرنة في القرن الثاني الميلادي وسقطت في يد العثمانيين في سنة ١٣٦٢م وصارت عاصمتهم من ١٣٦٥ م إلى ١٤٥٣ م والآن هي عاصمة المقاطعة التي تسمى أيضا باسم أدرنة وشهدت أدرنة والمناطق المجاورة لها ما لا يقل عن ١٥ معركة حاسمة عبر العصور من أبرزها

معركتان هائلتان أولهما بين ليسيستوس وكونستنتان إمبراطور الرومان فهزم الأول شر هزيمة سنة ٣٧٣ م أما المعركة الثانية فكانت سنة ٣٨٧ م حيث هزم الإمبراطور فالان الروماني في حربه مع القوط ولقي حتفه.

استولى على مدينة أدرنة السلطان مراد الأول من اليونان سنة ١٣٧٠م وقد إحتلها الروس سنة ١٨٢٩م وعقدت فيما بينهم شروط الصلح التي قضت بتنازل الدولة لروسيا عن مصب نهر الدانوب واعترافها باستقلال اليونان وتبادل حكمها عدة دول من ضمنها روسيا مرتين في القرن التاسع عشر وبلغاريا في ١٩١٢م.

أصولهم ونشأة الدولة

ينحدر العثمانيون من قبائل أوجوز التركمانية، مع موجة الغارات المغولية تحولوا عن مواطنهم في منغوليا إلى ناحية الغرب وأقاموا عام ١٢٣٧م إمارة حربية في بتيينيا شمال الأناضول، مقابل جزر القرم تمكنوا بعدها من إزاحة السلاجقة عن منطقة الأناضول في عهد السلطان عثمان الأول (عثمان بن أرطغل١٢٨٠-١٣٠٠م)، الذي حملت الأسرة اسمه، ثم خلفاءه من بعده، وتوسعت المملكة على حساب مملكة بيزنطة سنة ١٣٥٤ م ووضع العثمانيون أقدامهم لأول مرة على أرض البلقان وكانت مدينة جاليبولي في تركيا قاعدتهم الأولى وشكل العثمانيون وحدات خاصة عرفت باسم الإنكشارية كان أكثر أعضاءها من منطقة البلقان تمكنوا بفضل هذه القوات الجديدة من التوسع سريعا في البلقان

والأناضول معا إلا أنهم منوا بهزيمة أمام قوات تيمورلنك في أنقرة سنة ١٤٠٢م تلت هذه الهزيمة فترة اضطرابات وقلاقل سياسية ثم استعادت الدولة توازنها واستمرت سياسة التوسع في عهد مراد الثاني (١٤٢١-١٤٥١ م) ثم محمد الفاتح (١٤٥١-١٤٨١ م) الذي استطاع أن يدخل القسطنطينية سنة ١٤٥٣م وينهي بذلك قروناً من التواجد البيزنطي في المنطقة.

بداية ظهور آل عثمان

بعد وفاة أرطغرل قام السلطان علاء الدين السلجوقي بتنصيب الأمير عثمان مكانه، وعثمان بن أرطغرل ولد عام ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م وتوفي عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م وهو من عشيرة قايي، من قبيلة الغز الأوغوز التركية هاجر جده سليمان شاه، أمير عشيرة قايي، مع عشيرته من موطنه الأصلي، في آسيا الوسطى، ليستقر في الأناضول فتابع طريق التوسع بشجاعة خارقة، فكافأه السلطان علاء الدين، وكرّمه بإعطائه شارات السلاجقة، ومنحه استقلالاً، ولقب بك، ابتداء من سنة ٦٨٨ هـ/ ١٢٨٩م، وسمح له بأن يسك النقود باسمه ، وبذكر اسمه بعد اسم السلطان علاء الدين من على منابر المساجد والجوامع السلجوقية، ومنحه السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد الثالث جهات إسكي شهر وإينونو، عام ١٢٨٩م وقرر منحه ما يفتحه من أرض البيزنطيين وغيرهم، حاصر عثمان مدينة بورصة، المعروفة في غرب الأناضول،

عام١٣١٤م، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، وتوسعت منطقة نفوذ عثمان وإمارته، فشملت مناطق سوغود، ودومانيج، وإينه كول، ويني شهر، وإن حصار، وقويون حصار، وكوبري حصار، ويوند حصار وجعل في عام(١٣٠٠م)، يني شهر مركزاً لتلك الإمارة.

خيانة قائد بيزنطي ونهاية دولة السلاجقة

نشأت صداقة بين عثمان الأول، والقائد البيزنطي كوسيه ميخائيل حاكم قلعة خرمن قايا الذي أسلم، وأنقذ عثمان من مؤامرة بيزنطية دُبرت له في وليمة عرس بيزنطي كان دعاه إليها القائد كوسيه ميخائيل الذى صادقه وفي تلك الأثناء هاجم قازان المغولي المدن السورية، ومدينة قونية، فاحتلها سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، وأنهى دولة سلاجقة الأناضول ، ووفد على عثمان بن أرطغرل كثير من علماء الدولة السلجوقية هرباً من المغول، وأقبل عليه أمراؤها وأعيانها وأثرياؤها، فأثروا إمارته وانتقلت من مجرد قبيلة وإمارة إلى أن أصبحت لها مقومات الدولة وبهذا الحدث يمكن القول أن سلطنة آل عثمان بدأت بهؤلاء القادمين الهاربين من وجه المغول عام ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م ، أى عندما توفي آخر سلاطين سلاجقة الروم السلطان غياث الدين مسعود الثالث، حيث كانت الإمارة العثمانية تابعة للدولة السلجوقية قبل ذلك.

الاستيلاء على بورصة

كان الهدف الأسمى، الذي يسعى الأمير عثمان لتحقيقه، هو احتلال مدينة بورصة واتخاذها عاصمة للدولة العثمانية وظل هذا هدفاً يطمح إليه الأمير عثمان حتى آخر حياته ؛ فقد أمر وهو على فراش الموت، ولده أورخان بفرض الحصار عليها، والاستماتة في غزوها والاستيلاء عليها وقد نجح أورخان في ذلك، وطارت أنباء الاستيلاء إلى الأمير عثمان وهو يجود بأنفاسه الأخيرة ونُقل جثمانه إلى مدينة بورصة ودفن فيها عام٧٢٦هـ ١٣٢٤م، بعد أن عاش سبعين عاماً، قضى منها ٢٧ عاماً على عرش السلطنة وكان لعثمان الأول من الأولاد سبعة، هم: أورخان بيك، وعلاء الدين بك، وجوبان بك، وحامد بك، وفاطمة خاتون، وبازارلي بك، وملك بك.

الحرب الإيطالية ١٥٤٢-١٥٤٦ توفي أورخان سنة ١٣٥٩م فخلفه ابنه مراد الأول الذي هاجم شبه جزيرة البلقان وأستولى على أدرنة وقد قتل بعد أن تغلب على الصرب والبلغار في معركة معركة كوسوفو سنة ١٣٨٩م.

تغلب بايزيد الأول على التحالف الأوروبي الصليبي في معركة نيقوبولس ١٣٩٦ م وضم شرق صوفيا عاصمة بلغاريا.

فُتحت القسطنطينية بقيادة محمد الفاتح عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في الثلاثاء ٢٩ مايو عام ١٤٥٣ ،ويكتسب هذا الانتصار

أهمية خاصة للمسلمين لورود فتح القسطنطينية في حديث نبوي يُبشر بذلك ،وبدخول العثمانيين القسطنطينية لينتهى الاستقلال السياسي للإمبراطورية البيزنطية التي عاشت أكثر من ألف عام.

التوسع فى العالم الإسلامى

أصبح العثمانيون القوة الرائدة في العالم الإسلامي وانتصر السلطان سليم الأول ١٥١٢-١٥٢٠ م على الصفويين في معركة جالديران مما مكنه من السيطرة على العراق وأذربيجان عام ١٥١٤م، ثم بلاد الشام وفلسطين عام ١٥١٦م بمعركة مرج دابق، واستولى على مصر بعد معركة الريدانية عام ١٥١٧ م وبلغت الدولة أوجها في عهد ابنه سليمان القانوني١٥٢٠-١٥٦٦م الذي واصل غزو البلقان (المجر عام ١٥١٩م، ثم حصار فيينا)،وفي عام ١٥٣٢م،استولى بعدها على الساحل الصومالي من البحر الأحمر واستطاع بناء أسطول بحري لبسط سيطرته على البحر المتوسط بمساعدة خير الدين بربا روس الذي قدم ولاءه للسلطان وبعد ١٥٥٢عام تم إعلان انضمام الدول الثلاث الجزائر وتونس وطرابلس إلى الدولة العثمانية وذلك بطلب من الجزائر التي كان لها حكم ذاتي في تصرفها عندما طلب خير الدين بربا روس عام ١٥١٨ المساعدة من الأستانة عقب مقتل أخيه بابا عروج من طرف الأسبان الذين احتلوا مدينة وهران وبعدها شواطئ تلمسان ومستجانم وتنس ودلس وبجاية

حيث أخضعت طرابلس في حدود عام ١٥٥١م فأصبحت الدولة تمتد على معظم ما يشكل اليوم الوطن العربي باستثناء وسط الجزيرة ومراكش وعُمان بالإضافة إلى امتدادها في وسط آسيا وجنوب شرق أوروبا.

التراجع

بعد سنة ١٥٦٦ م أصبح الملك في أيدي سلاطين عاجزين أو غير مؤهلين للحكم ثم منذ ١٦٥٦ م أصبحت السلطة بين أيدي كبير الوزراء الصدر الأعظم أو كبار القادة الإنكشاريين فبدأت مع هذه الفترة مرحلة الانحطاط السياسي والثقافي حيث كان العثمانيون في صراع دائم مع الهبسبورج، ملوك النمسا إلا أن مراكز القوى تغيرت بعد معركة فيينا، منذ ١٧٠٠ م وتحول وضع العثمانيين من الهجوم إلى الدفاع وتم إعادة هيكلة الدولة في عهد السلطانين سليم الثالث ١٧٨٩-١٨٠٧م ثم محمود الثاني ١٨٠٨-١٨٣٩م من بعده، ورغم هذا استمر وضع الدولة في الانحلال ثم أعلنت التنظيمات سنة ١٨٣٩م وهي إصلاحات على الطريقة الأوروبية وبعدها أنهى السلطان عبد الحميد الثاني١٨٧٦-١٩٠٩ م هذه الإصلاحات بطريقة استبدادية، نتيجة لذلك استعدى السلطان عليه كل القوى الوطنية في تركيا وفى سنة ١٩٢٢م تم خلع آخر السلاطين محمد السادس العثماني ١٩١٨-١٩٢٢م وأخيرا ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة نهائيا في ١٩٢٤ .

عوامل ضعف الدولة العثمانية

هناك بعض العوامل التى أدت إلى إضعاف الدولة العثمانية ومن هذه العوامل عوامل داخلية:

١. ضعف السلاطين المتأخرين ويتضح من:عدم قيادتهم للجيش - عدم ترأسهم جلسات الديوان - ضعف قدرتهم على الإدارة - انشغالهم بأمورهم الخاصة.

٢. انحدار الإنكشارية: حيث (أهملوا تدريباتهم - قل ارتباطهم بثكناتهم مما أدى إلى ضعف قدراتهم القتالية والحربية) .

٣. سوء نظام جباية الضرائب: فقد كان تحصيل وجمع الأموال العامة في الولايات يتم عن طريق الالتزام.

عوامل خارجية ومنها:

١- الامتيازات الأجنبية لبعض الدول الأوروبية التى أدت إلى التدخل في شؤون الدولة.

٢- الأطماع الاستعمارية الأوروبية في ممتلكات الدولة العثمانية.

٣- ظهور روسيا القيصرية كقوة تسعى على حساب الدولة العثمانية، وتحريض شعوب البلقان للثورة ضدها.

٤- الهزائم التي ألحقتها الجيوش الأوروبية بالجيش العثماني بسبب اختراع الأوروبيين أسلحه جديدة واندماجها في الثورة الصناعية - تفوق أساليبهم القتالية وضعف الجيش الإنكشاري.

نظام الحكم والإدارة في الدولة العثمانية

١. السلطان: ومن مهامه تطبيق الشريعة الإسلامية- قيادة الجيوش- تعيين الوزراء وعزلهم.

٢. الصدر الأعظم كان مستشار السلطان في بداية العهد العثماني ثم أصبح ممثل السلطان في فترة ضعف السلاطين، والتحكم بالتعيينات والوظائف والأمور المتعلقة بالجيش والإدارة.

٣- الجيش وأدى الجيش العثماني دوراً مهماً في تأسيس الدولة وتوطيد أركانها.

نظام الحكم والإدارة العثمانية في الولايات العربية

عندما أتسعت الدولة العثمانية لجأ العثمانيون إلى تقسيمها ولايات وقسمت الولايات إلى أقسام إدارية صغيرة عرفت بالسنجق وقسمت بدورها إلى أقسام إدارية أصغر سميت بالناحية ويتشكل الجهاز الإداري للولايات العثمانية من عدد من كبار موظفي الدولة على النحو الأتي:

١. الوالي: كانت مهمة الوالي أن ينوب عن السلطان في الأمور الإدارية والعسكرية،وحفظ الأمن وجباية الضرائب وإرسال الأموال المفروضة على الولاية إلى خزينة الدولة وكان والي الشام متميزاً عن غيره من الولاة بإضافة منصب إمارة الحج إليه، وكانت مهمة أمير الحج الإشراف على قافلة الحج الشامي التي تضم حجاجاً من أنحاء بلاد الشام

والأناضول والبلقان وتنطلق القافلة من دمشق مارةً بشرق الأردن إلى الحجاز.

٢. السنجق والناحية: يتولى حكام السنجق والناحية تنفيذ أوامر الوالي والإدارة المركزية وتصريف الأمور الداخلية وحفظ أمن واستقرار الأوضاع فى مناطقهم.

٣. الدفتردار: يعين من قبل السلطان مباشرة، ويتمثل دوره فى الشئون المالية في الولاية وهو بمثابة أمين الخزينة.

نقل العاصمة: كانت ياني شهير ١٢٨٠-١٣٦٦م أول عاصمة للعثمانيين ، وفى سنة ١٣٦٢م غزا مراد الأول مدينة أدرنة وجعلها عاصمته وبعد غزو مدينة فيلبة صارت القسطنطينية محاطة بالعثمانيين فاضطر إمبراطورها لدفع الجزية وكانت الأمبراطورية البيزنطية بمثابة خط أمامى يفصل بين أوروبا والقبائل التركية المسلمة ، فحاول الأمراء الأوربيون الاستنجاد بالبابا وبملوك أوروبا الغربية ضد المسلمين ولكن هاجمت الجيوش العثمانية أمير البلغار واحتلت بعض أجزاء من بلاده ففر إلى مدينة نيكوبولي فهزمه العثمانيون مرة أخرى وأثناء انشغال السلطان مراد الأول فى حروبه ،أصبحت القسطنطينية محاطة بالقبائل التركية وكان السلطان مراد الأول يهاجم بلغاريا ، فدقت أوروبا نواقيس الخطر كما دعا البابا أوربانوس الخامس جيوش أوروبا إلى الحرب ضد العثمانيين ، ولكن ملك الصرب لازار لم يتوقع الدعم السريع ولم ينتظر

تجمع ملوك أوربا فجمع الأمراء المجاورين له وهم أمراء البوسنة والأفلاق (جنوب رومانيا)والهرسك وألبانيا، وملك المجر واتجهوا لانقاذ بلغاريا من العثمانيين ولكنهم اضطروا إلى القتال فى أدرنة بعد أن أدركه الجيش قبل وصوله إلى مبتغاه ودارت المعركة في سهول قوصوة، حيث فاجأتهم جيوش العثمانيين فكانت من أشهر معارك التاريخ ، وكان صهر لازار خائناً وعلى اتصال بالقوات العثمانية فانقلب بفرقته المؤلفة من عشرة آلاف مقاتل إلى جانب المسلمين فانهزم الصربيون ووقع ملكهم أسيراً فى أيدى المسلمين وهربت الجيوش الأوروبية بعد مصرع الملك لازار وغيره من الملوك والأمراء وبعد الانتصار كان السلطان يتفقد الجرحى في ساحة المعركة ، ونهض من بين الجرحى عسكري وطعن السلطان مراد الأوّل في أحشائه فقتل في ١٥ شعبان سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م ، وقتل الجند العثمانيين القاتل الصربي مباشرة ٠

خاض السلطان مراد الأول شخصياً سبعاً وثلاثين معركة كبرى ، ووسع غزواته للإستيلاء على الدول الأوروبية حتى يوم قتله فبلغت مساحة أراض السلطنة في القارة الآسيوية والقارة الأوروبية نصف مليون كيلومتر مربع، ٢٩١ ألف كيلومتر في أوروبا الشرقية، و٢٠٨ آلاف كيلومتر مربع في آسيا وذلك بعدما ثبت حدود السلطنة العثمانية على ضفاف نهر الطونة (الدانوب) شمالاً، وأوصى بالسلطنة إلى ولده يلدرم٠